مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(8)، العدد (2)، (ديسمبر-2023)، ص 82-94
ISSN:2602-5566 EISSN:2716-8999

أزمة التربية عند حنة أرندت–أمريكا نموذجا-

The crisis of education when Hannah Arendt

بلباشة محمد، [*1]، بن اسماعين موسى [2]

[1] مخبر حوار الحضارات والعولمة،جامعة باتنة 1 (الجزائر)، mohamed.belbacha@univ-batna.dz

[2]مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة 1 (الجزائر)، moussa.bensmaine@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:2023/06/21 **تاريخ القبول:2023/12/02**

ملخص:

تعتبر أزمة التربية عند حنة أرندت من بين الأزمات العديدة التي يعيشها الانسان المعاصر حيث ركزت المفكرة على هذه الأزمة في أمريكا في كتابها بين الماضي و المستقبل، كما أن أرندت اعتبرت هذه الأزمة مشكلة سياسية بامتياز.ونحن في هذا المقال سنحاول استعراض معالم هذه الأزمة وكذا أسبابها،وذلك من خلال قراءة في الكتاب السابق الذكر لمحاولة الفهم العميق لأسباب هذه الأزمة وكذا علاقتها بالهجرة وكيفية تدخل الأنظمة السياسية في الأنظمة التعليمية وأيضا محاولة فهم أسباب تدني المستوى التعليمي في أمريكا.وفي الأخير سنرى نتائج هذه الأزمة على المجتمع الأمريكي.ومن بين النتائج المهمة التي توصلت إليها أرندت أن وظيفة المدرسة تتمثل في تعليم الأطفال حقيقة العالم.

كلمات مفتاحية: أزمة؛تربية؛سياسة؛أطفال؛ أمريكا.

Abstract:

The crisis of education when Hannah Arendt among the many crises experienced by modern man, where the notebook focused on this crisis in America in her book between the past and the future, and that Arendt considered this crisis a political problem par excellence. In this article, we will try to review the features of this crisis as well as its causes, through reading in the aforementioned book to try to understand in depth the causes of this crisis as well as its relationship to immigration and how political systems interfere in educational systems and also try to understand the reasons for the low level of education in America. Finally, we will see the consequences of this crisis on American society. One of Arendt's important findings is that the school's job is to teach children the truth of the world.

Keywords: Crisis, education, politics, children, America.

[*] المؤلف المرسل.

1- مقدمة

تعتبر التربية محركا أساسيا لجميع المجتمعات،ولقد برزت أهمية التربية وقيمتها في تطوير هذه الشعوب وتنميتها الاجتماعية والاقتصادية وفي زيادة قدرتها الذاتية على مواجهة التحديات الحضارية التي تواجهها، كما أنها أصبحت استراتيجية قومية كبرى لكل شعوب العالم والتربية هي عامل هام في التنمية الاقتصادية للمجتمعات، وهي عامل هام في التنمية الاجتماعية وضرورة للتماسك الاجتماعي والوحدة القومية والوطنية، وهي عامل هام في إحداث الحراك الاجتماعي، ويقصد بالحراك الاجتماعي في جانبه الإيجابي، ترقي الأفراد في السلم الاجتماعي. وللتربية دور هام في هذا التقدم والترقي لأنها تزيد من نوعية الفرد وترفع بقيمته ومقدار ما يحصل منها. كما أن التربية ضرورية لبناء الدولة العصرية،وإرساء الديمقراطية الصحيحة والتماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية.كما أنها عامل هام في إحداث التغير الاجتماعي.

وتعتبر أزمة التربية واحدة من الأزمات العديدة التي يعيشها الإنسان المعاصر، حاولت أغلب الفلسفات والمذاهب والنظريات البحث في أسبابها وقدمت في هذا الصدد معلومات قيمة ومهمة عن الموضوع. وارتبطت هذه الأزمة عموما في العصر الحديث بما خلفته الأزمات السياسية والحروب العالمية على تصورات الدول لكيفية تنشئة الأفراد، علما أن كل ما يتعلق بالتربية يبقى مفتوحا على كل الاحتمالات والنقاشات ما دام ذلك يتعلق بتكوين الإنسان منذ صغره إلى آخر حياته.

ولهذا نلاحظ اهتمام جميع الدول بها ومحاولة تطوير طرق التربية والتعليم في كل آن.ولعل نظرة بسيطة لتطور النظريات التربوية والفكر التربوي عموما يعكس محاولة أغلب التيارات الفلسفية التطرق إلى أزمة التربية منذ العصر اليوناني ومحاولة رسم ملامح النظام التربوي مرورا بالتيار الاجتماعي مع "إميل دوركايم"، وصولا إلى التيارات المعاصرة عند "جون ديوي".

كما أن لأزمة التربية تأثير واضح و كبير على أزمة القيم الإنسانية ، إذ تنعكس الأوضاع التربوية على القيم الأخلاقية داخل المجتمع و في بحثنا المتواضع سنحاول التطرق إلى أزمة التربية عند المفكرة حنة أرندت و ذلك من خلال استقراء كتابها بين الماضي و المستقبل و كذا مقالتها عن أزمة التربية التي قام بترجمتها كل من حماني أقفلي و عز الدين الخطابي ، و هدفنا من كل هذا هو محاولة فهم أسس هذه الأزمة وكذا كيفية تأثر النظام التربوي بالنظام السياسي خصوصا في أمريكا، و كذا تبيان الحس النقدي للفيلسوف حول الأزمة الناتجة عن الموروث من فكر الأنوار ، كما سنحاول تسليط الضوء على العلاقة بين الهجرة و التربية و كذا أزمة القطيعة الابستمولوجية بين الموروث و الحاضر. وانطلاقا من كل هذا نطرح الأسئلة التالية: كيف شخصت أرندت أزمة التربية؟وما هي أسباب الأزمة في أمريكا خصوصا؟وما هي الحلول التي تقترحها أرندت للخروج من هذه الأزمة؟

2- إشكالية مفهوم التربية:

في الحقيقة يعتبر مفهوم التربية مفهوما معقدا فإذا رجعنا إلى الأصل اللغوي في العربية لوجدنا المصطلح كما جاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا:" بلوغ الشيء كماله" (صليبا، ب.س، صفحة 266).

أما في المعاجم الأجنبية، فنجد معجم "LE ROBERT" يعرف مصطلح EDUCATION الذي ظهر سنة 1527: "مجموع الوسائل التي بواسطتها نوجه نمو وتكوين الكائن الإنساني، وكذا النتائج المحصلة بواسطة هذه الوسائل" (Robert, 1998, p. 434)

إن تعريف "روبير" يبين الطابع الإشكالي المعقد للتربية، فهي عملية تنشئة مستمرة، فهذه الدلالة الاشتقاقية تحدد لنا التربية كغذاء مادي من طعام وتمارين ...ومعنوي كالمعرفة والأخلاق والنتيجة النمو الذهني والعقلي والجسدي.

أما في الحضارات القديمة فقد كانت التربية مرادفا للبيداغوجيا فقد كان:"يشار إلى التربية بالبيداغوجيا pédagogie التي ترجع إلى أصلها الإغريقي حيث تتكون هذه الكلمة من مقطعين ped وأصله pais وتعني طفلو agogie وأصله ogoge وتعني توجيه. ما يعني توجيه الأطفال وقيادة سلوكهم" (ياسين، ب.س، صفحة 15)

و لقد حاول الكثير من المربين، قديما و حديثا، أن يعرفوا التربية تعريفا جامعا مانعا، لكنهم اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا لاختلافهم في تحديد الغرض من التربية و أهدافها، و من بين التعاريف التي يمكن اقتراحها في هذا الصدد تعريف "أفلاطون" :" إعطاء الجسم و الروح كل ما يمكن من الكمال "(تركي، 1989، صفحة 19). ودور المعلم لا يقوم على فرض العلوم، إنما بتوجيه التلميذ بالمناقشة والأسئلة. أما أرسطو فقد عرف التربية على أنها:"إعداد العقل للكسب،كما تعد الأرض للنبات والزرع "(تركي، 1989، صفحة 19)

فالتربية هي عملية نمو، أي أنها تكفل بالطفل في جوانب مختلفة من شخصيته الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، من خلال ما توفره الأسرة،والمؤسسات التربوية من إمكانيات مادية ومعنوية من شأنها أن تضمن له الارتقاء النفسي والاجتماعي.

التربية في الفلسفة اليونانية جاءت نتيجة للتطور الذي حدث في الحياة العقلية "فقد تناول فلاسفة اليونان بالنقد الحرّ المحايد نظمهم الدينية التي تتمثل في مجموعة الأساطير الخرافية هي معظمها من نسج الخيال ،وتعرضوا أيضا لتقاليدهم وأخلاقهم وعاداتهم، ونظمهم السياسية وأحلوا محلّها نظماً محكمة لا يخضع إلاّ لدواعي المنطق والعقل" (أبو ريان، 1969، صفحة 11)،وبهذا فإن هدف التربية عند اليونان هو:"إتباع الخير عند الإنسان يعني إتباع العقل وترك الشر الذي يعني الابتعاد عن العقل" (أبو ريان، 1969، صفحة 11)

فعرف "سقراط" التربية على أنها:"صياغة النفس الإنسانية وطبعها على الحق والخير والجمال وتحقيق مجتمع أفضل" (معن، ب.س، صفحة 249)أما تعريف التربية عند أفلاطون هي:"معرفة الخير وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال" (معن، ب.س، صفحة 249)

أما مفهوم التربية عند المسيحية فقد جاء مرادفا للدين، بمعنى إتباع التعاليم الدينية أي أن: "استقامة الفعل البشري تقاس بمدى اتفاقه مع الإرادة الإلهية وكذلك مدى اتفاقه مع العقل البشري " (جلسون، 1974، صفحة 413)

التربية في العصر الحديث نجدها تدعو إلى انفصال التعليم عن نطاق الكنيسة لذلك دعي فلاسفة العصر الحديث إلى أن يكون التعليم تحت إشراف الحكومة وليس الكنيسة، وبذلك فأن الفلاسفة المحدثون يدعون إلى تحرير العقل تحريراً تاماً. فنجد هنالك جهودا للفلاسفة في إصلاح نظام التعليم في العصر الحديث عما كان سابقا:"فلا عجب أن رأينا أثر تلك الجهود واضحا على خطط التعليم الجامعي كما وكيفا. فكان هنالك أولا زيادة في عدد المحاضرين في مواد الدراسات الإنسانية كما ظهر واضحا في مدرسة بولونيا أضف إلى ذلك زيادة أنصار النزعة الإنسانية الذين توجهوا إلى الجامعة، واتخذوا من التدريس فيها مهنة لهم. وأمر آخر عدا هذا وذاك هو إنشاء الإنسانيين عددا من المدارس الثانوية التي طغى فيها تعليم المواد الإنسانية والتي غالبا ما كان الطلاب فيها يواصلون دراستهم الجامعية بعد ذلك" (العمر، 1983، صفحة 140)

أما في الجانب السوسيولوجي فقد عرف "إميل دوركايم" التربية على أنها:" الفعل الذي يمارسه جيل الراشدين على جيل الاطفال الذين لم ينضجوا بعد للحياة الاجتماعية" (Dorkheim, 1993, p. 49)أي أن الهدف من التربية حسب دوركايم ممارسة نوع من المهارات يقوم بها الراشدون لتهيئة الطفل للدخول إلى المجتمع حسب أهداف سطرها المجتمع نفسه و هذا ما يتنافى مع مفاهيم التربية الحديثة التي تدعوا إلى تحرير الطفل من القيود الاجتماعية و خلق روح المبادرة لدية ، و لهذا سنجد لاحقا أرندت تنتقد أيضا هذا الانفصال بين عالم الراشدين و عالم الأطفال نتيجة الممارسات الخاطئة في التربية.

قام "جون لوك"بإبعاد فلسفة التربية عن نظريات ما وراء الطبيعة، ووجهها نحو التجارب العلمية: "فقد استطاع بذلك أن يفصل الدراسة السيكولوجية عن البحوث الميتافيزيقية ومنذ عهده أخذت دراسة أحوال النفس تتكون على شكل علم قائم بذاته ذي موضوع معين ومناهج ثابتة في كتابه" بعض الأفكار عن التربية "عالج موضوعا مهما يرتبط بفلسفة التربية ارتباطا وثيقا وهو أهداف التربية كما دعا في كتابه إلى تطبيق نظام تربوي ينطلق من الوقائع، ويرتكز على علوم الطبيعة" (روني، 1920، صفحة 380)

وكخلاصة عن مفهوم التربية فهي عملية اجتماعية وخلقية يضطلع بها المجتمع من أجل بناء شخصيات أفراده، على نحو يمكنهم من الاندماج في المجتمع.وللفصل المؤقت لإشكالية مفهوم التربية نقول إن هذا المفهوم في ممارساته الاجرائية، لن يبلغ مداه إذا ما ظل مجرد تحديدات مجردة، فتفعيل هذا المفهوم في الواقع بطرق دينامية عن طريق تربية العقل بوسائل تكوينية تغذيه تغذية سليمة.

3- علاقة التربية بالفلسفة:

ارتبطت الفلسفة بالتربية منذ القديم ففي الفلسفة اليونانية هنالك ارتباط وثيق بين الفلسفة والتربية ، فمثلا نجد "السفسطائيون" هم أول من ربط بين الفلسفة والتربية ، فقد جاءت فلسفتهم تعبيرا قوياً على نزعتهم الفردية، أي: أنهم اهتموا بالفرد اهتماما واضحا فلقد وجهوا النظر إلى الفرد ، والى الذات ، فغيروا بذلك مجرى الفكر الذي كان متجها في عهد الطبيعيين من طاليس و"انكسمندريس" و"هيرقليدس"الذين كانوا اهتمامهم عن أصل الكون:"والالتزام بالموضوعية الكاملة وأحلّ السفسطائيون محلّ هذه الموضوعية فكرة النسبية لذلك نجد أن للسفسطائيين الفضل الأكبر في توجيه النظر إلى دراسة الطبيعة الإنسانية من نواحيها العقلية والأخلاقية وإثارة اهتمام المفكرين بمشاكل الحياة العملية" (أبو ريان، 1969، صفحة 41)

وتشكلت العلاقة الأصيلة بين التربية والفلسفة منذ"أفلاطون" حتى يومنا هذا ولاسيما إذا قارناها بعلاقة التربية بالعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية، إذ يتداخل اهتمام هذه العلوم بالتربية بحكم طبيعة اشتغالاتها ولاسيما العلوم الإنسانية. أما اهتمام العلوم الطبيعية بالتربية قليل بالنسبة للعلوم الإنسانية، لذلك نجد الفلسفة هي المصدر الأهم الذي تنظر إليه التربية من أجل التدعيم؛ فنستنتج أنه لا توجد حدود فاصلة بين البحث التربوي والبحث الفلسفي مثل الحدود التي تفصل التربية عن العلوم الأُخرى:" إن الفكر التربوي يتخلل البيئة الواقعية للفلسفة حتى مضى البعض مؤكدا أن الفلسفة ليست مجرد حليف للتربية كما هو الحال في علم النفس،إنما هي تمثل النظرية العامة للتربية" (ياسين، ب.س، صفحة 36)

ومنه نستنتج أن جل الأبحاث والنظريات في مجال التربية تستنير بما وصل إليه الفلاسفة في أبحاثهم وخير دليل على ذلك تطبيق التدريس بالكفاءات والذي تعود أصوله إلى النظرية البراغماتية.

4-"مدرسة فرانكفورت"والتأسيس لفكر الأزمة عامة والأزمة في العلم والتربية خاصة:

تعد "مدرسة فرانكفورت" النقدية من أهم المدارس الفلسفية التي نشأت في ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية كانت سائدة في ألمانيا في العشرينيات من القرن الماضي،وهي وليدة سياق تاريخي، فاندلاع الحرب العالمية الأولى،وما تركته من أزمات اجتماعية واقتصادية

ونفسية وما سببته من موت وخراب،وما تبعها من تحولات سياسية،وقيام الثورة البلشفية عام 1917،وكذلك قيام جمهورية فايمار عام 1919 في ألمانيا وما تبعها من صراعات في صفوف اليسار الأوروبي، كان له كبير الأثر في ظهور المدرسة.

و هكذا نجد الجيل الأول للمدرسة اشتغل على إشكاليات الواقع المر لألمانيا و الغرب فمن جدل العقل و التنوير "لهوركهايمر" ، إلى:" الخوف من الحرية لإريك فروم، إلى الجدل القمعي للحضارة و إنسان البعد الواحد لماركيوز " (المحمداوي، 2012، صفحة 15)

إن مساءلة مدرسة فرانكفورت النقدية للفكر التنويري وعقلانيته جاءت نتيجة انحرافه عن الأهداف التي وجد من أجلها. و برزت هذه المساءلة النقدية في كتاب جدل التنوير المشترك ل"تيودور أدورنو" و "هوركهايمر"، فانحراف التنوير: "يشكل أزمة أصابت العقل الغربي، و هي التي دفعت بالتساؤل في نص جدل التنوير عن أسباب تراجع هذا العقل و ظهوره في شكل جديد ينبئ بالأفول و التهاوي في الوقت الذي تعززت فيه الهيمنة الرأسمالية و تصاعد الامتداد السلطوي و الإيديولوجي، ليتحول العقل من مهمة النظر الفكري إلى مجرد وسيلة هيمنة و قمع" (المحمداوي، 2012، صفحة 69)

و هذا يعني أن العقل الذي كان يلعب دورا معرفيا للسيطرة على الطبيعة و الدفاع عن القيم الإنسانية التي نادى بها التنويرين، قد انحرف عن هذه المهام و أصبح أداة للسيطرة على الإنسان ذاته، و هذا ما دفع ب "أدورنو" لطرح التساؤل في مقدمة نصه "جدل التنوير" : " كيف أن الإنسانية التي بدل أن تلتزم بشروط إنسانية حقة، سرعان ما راحت تغرق في شكل جديد من البربرية" (أدورنو، ب.س، صفحة 13)

أما في المجال العلمي والتربوي فقد انتقدت "مدرسة فرانكفورت" غزو التقنية واستبعاد الفلسفة والعلوم الاجتماعية:" إن نمو المعرفة العلمية- التي أخذت طابعا أداتيا- أدت إلى تقلص أفاق حرية الانسان وسعادته وكذلك استقلاله الذاتي باعتباره فردا، بل إن قدرته على التخيل والحكم المستقل تناقص ايضا" (بومنير، 2011، صفحة 30)

ولهذا انشغلت النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت كثيرا بأزمة الإنسان الغربي المعاصر الذي فقد حريته وأصبح يعيش الاغتراب والتشيؤ،ومما زاد الطين بلة تأثر الأنظمة التربوية في العالم بنتائج العلم ونسيان الإنسان وهذا ما سنراه عند المفكرة حنة أرندت في تشخيصها لأسباب وجذور الأزمة التربوية.

4-أسباب أزمة التربية عند حنة أرندت

حسب المقال المعنون ب "أزمة التربية" ل "حنة أرندت"والذي ترجمه كل من "حماني أقفلي" و "عز الدين الخطابي" من المدرسة العليا بمكناس فإن جذور أزمة التربية تعود إلى:

1-4 عدم إيجاد علاقة صحيحة بين الأطفال والراشدين:

أو بالأحرى تكريس سلطة الجماعة على رغبات الطفل وعدم معرفة الرغبات الحقيقية للأطفال تقول "أرندت": "أما الطفل داخل تلك الجماعة، فهو يوجد طبعا، في وضعية أسوأ من وضعيته السابقة، لأن سلطة الجماعة،ولو كانت جماعة أطفال، هي دائما أكثر قوة واستبدادا من سلطة الفرد مهما كان قاسيا. فإذا وضعنا أنفسنا مكان الطفل باعتباره فردا فإننا نرى أنه لا يتوفر عمليا على أية حظوظ للتمرد (على تلك الجماعة) أو التصرف بمبادرة خاصة منه" (أرندت، 2011، صفحة 11)إن عدم ترك الحرية للأطفال و تكريس هيمنة الراشدين يؤدي إلى اضطراب العلاقة بين العالمين مما يخلق نوعا من عدم التواصل بين الأجيال.وكذا عدم فهم عالم الأطفال وممارسة سلطة الجماعة بما تحمله من موروث وتقاليد لا تتماشى ربما مع الجيل الجديد يؤدي إلى انفصام بين العالمين.

2-4عدم كفاءة المعلم:

أو بالأحرى عدم التكوين الجيد للمعلمين في مادة اختصاصهم، بالإضافة لأزمة البيداغوجيا الحديثة وعلاقتها بعلم النفس:" لقد أصبحت البيداغوجيا، تحت تأثير علم النفس المعاصر،والنظريات البراغماتية علما للتعليم بصفة عامة، إلى حد التحرر كليا من مادة التعلم. فنحن نعتقد أن المدرس هو من يقدر على تعليم كل شيء. لقد تم تكوينه ليدرس وليس ليتمكن من مادة تعليمية معينة ... وقد أدى ذلك خلال العقود الأخيرة، إلى إهمال تام لتكوين المدرسين في مادة تخصصهم" (أرندت، 2011، صفحة 11)

إن عدم تحكم المعلم في مادة تخصصه يقوده هذا الأمر بالتأكيد إلى ممارسة نوع من التسلط الغير مبرر و يتوجه حتى إلى ممارسة أساليب إكراهية سواء الإكراه النفسي و البدني ، و هذا ما نلاحظه حقيقة في مدارسنا ، و نلاحظ هذا كثيرا عند المدرسين فالعلاقة بين التحكم في المادة و مستوى التلاميذ علاقة عكسية فكلما تحكم الأستاذ في المادة المعرفية و تكون جيدا في تخصصه أحبه التلاميذ و نقصت المشاكل في حصته ، و كذا ارتفع المستوى العلمي عند التلاميذ و العكس صحيح ، أي كلما قل تحكم ا أستاذ في المادة المدرسة كثرت المشاكل في الحصة و قل المستوى العلمي عند المتعلمين و كذا كره التلاميذ للمادة نفسها.

3-4تطبيق البراغماتية والممارسة على عالم التعلم:

ترى أرندت أن النظريات الحديثة المدخلة في نظام التعليم كالتعليم بالكفاءات أو عن طريق الممارسات جرد التعليم من قدسيته و أصبحت المدارس عبارة عن معاهد للتكوين المهني رغم ما لهذه المهارات من أهمية في حياة الطفل إلا أنها صنعت هوة كبيرة بين ما يريد المعلم تلقينه و بين أذهان الأطفال ، و أنا هنا أوافق أرندت فيما ذهبت إليه فكيف لطفل في عمر الزهور أن يمارس الميكانيكا مثلا ، و نعتقد في أذهاننا أننا قد حققنا كفاءة عالية ، و هو في

الواقع يعتبر تلك الممارسة لهوا و لعبا فيجب التفريق بين علم الميكانيكا و الممارسة الفعلية ، إذا إدخال البراغماتية في التعليم قضى بشكل غير مباشر على أهداف التعليم السامية ، تقول أرندت في هذا السياق:" إن نظرية حديثة حول طريقة التعلم ، هي التي ساعدت البيداغوجيا و المدارس العليا ، على القيام بهذا الدور السلبي في الأزمة الحالية للتربية. وهذه النظرية بكل بساطة تطبيق للفكرة الأساسية الثالثة، في سياق حديثنا هذا،وهي فكرة تبناها العالم الحديث لعدة قرون،ووجدت تعبيرها المفهومي والنسقي في البراغماتية" (أرندت، 2011، صفحة 11)

و تعطي أرندت مثالا عن تعليم اللغات عن طريق الممارسة، فتعليم الطفل اللغات عن طريق العمل أو التدريب يطيل بشكل عمدي في مرحلة الطفولة تضيف أرندت في هذا الشأن: " ويبين تعليم اللغات ، بشكل مباشر ... إن استبدال التعلم بالفعل، و العمل باللعب ... فإنه من الواضح، أن هذه الطريقة تتعمد إطالة مرحلة الطفولة أكثر ما يمكن: إن ما يتم حذفه هنا باسم استقلالية عالم الطفولة ، هو بالضبط ما يعد الطفل لولوج عالم الراشدين ، أي التعود التدريجي على العمل عوض اللعب" (أرندت، 2011، صفحة 12)

فإدخال البراغماتية في التعليم أدى كما قلنا سابقا إلى عزل عالم الطفولة عن عالم الراشدين و تطيل في سن الطفولة و واقعنا خير دليل على ذلك، فمدارسنا و جامعاتنا - رغم الاجتهادات و التحديثات في طرق التعليم- إلا أنها في الحقيقة تنتج في الأخير متخرجا كهلا بعقل طفل إن صح التعبير – لا ينتج و لا يبدع و يتملكه الخوف عند إدماجه في عالم الشغل أو عالم الراشدين.

5-أزمة التربية في أمريكا عند أرندت:

تربط أرندت أزمة الحاصلة في التربية في أمريكا بالسياسة، تقول في كتابها "بين الماضي والمستقبل بحوث في الفكر السياسي": " إن الأزمة التي طغت على العالم الحديث ... ومن أكثر مظاهرها تميزا ودلالة في أمريكا الأزمة المتكررة في أمريكا التي أصبحت التي أصبحت خلال العشر سنوات الأخيرة على الأقل مشكلة من أعظم المشكلات السياسية، تنقل الصحف أخبارها كل يوم تقريبا" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 237)

لكن السؤال المطروح : لماذا ربطت أرندت بين السياسة و أزمة التربية في أمريكا ؟ تجيب أرندت عن هذا السؤال باعتقادها أن أمريكا بلد الأجناس المختلفة ، و من الصعوبة بمكان فرض نظام تعليمي موحد ، تقول:" أن أمريكا ربما تكون البلاد الوحيدة التي يمكن فيها لأزمة التربية أن تصبح عاملا سياسيا ... و التفسير الفني لهذا هو بالطبع أن أمريكا هي بلاد المهجر ، و من الواضح أن صهر الجماعات المتعددة الأجناس المنطوي على صعوبات جسيمة ، و الذي لا ينجح نجاحا كاملا أبدا" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 239)

فأرندت تعتقد أن أمريكا تحاول فرض نظامها السياسي على المهاجرين و جعلهم أمريكيين فالسياسة أصلا تستعمل الإكراه في التربية ، تضيف أرندت: " كلمة التربية لها رنة بغيضة في السياسة ، لأن ظاهرها تربية بينما الهدف الحقيقي من ورائها ، هو الإكراه من دون استخدام القوة" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 241)و أساس هذه الفكرة – حسب أرندت – هي الفكرة الأفلاطونية في التربية ألا و هي إقصاء كبار السن من التربية و هنا تنتج لنا فكرة خفية تمارسها السياسة و هي: ممارسة الهيمنة السياسية على النظام التعليمي للأطفال و عندما يكبرون و يخرجون من النظام التعليمي و يصبحون كبارا لا يستطيعون المساهمة في النظام السياسي باعتبارهم جيلا قديما و هنا يجد النظام فرصته لمواصلة فرض أفكاره على الأطفال و إقصاء الكبار حتى يضمن الاستمرارية.

إن مبدأ المساواة أو مبد أ تكافؤ الفرص الذي فرضه النظام السياسي – رغم ما يحمله من إيجابيات - إلا أنه سوى بين الجميع في المدارس و لم يفرق بين الأطفال الموهوبين و الغير موهوبين تقول أرندت:" و لهذا فإن السبب الذي يزيد في حدة الأزمة التربوية في أمريكا هو مزاج البلاد السياسي ، الذي يسعى بنفسه لأن يسوي أو يمحو بقدر الإمكان الفرق بين الشبان و الشيوخ ، و بين الموهوبين و غير الموهوبين ، و أخيرا بين الأطفال و الكبار ، و خصوصا بن التلاميذ و المعلمين" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 245)

6-الفرق بين أزمة التربية في أمريكا وأزمة التربية في إنجلترا عند أرندت:

على خلاف الأزمة الأمريكية في التربية التي تسوي بين الجميع ، فإن الأزمة في إنجلترا على العكس تماما فالنظام التربوي في هذه الأخيرة يقوم على محاولة خلق طبقة علمية قائمة على نظام الانتقاء منذ مرحلة التعليم الابتدائي ، تقول "أرندت":"فإن نظرة إلى انجلترا... ففي نهاية المرحلة الابتدائية عندهم ، و التلاميذ في سن الحادية عشرة ، يعقد امتحان رهيب يرسب فيه كل الطلبة ، باستثناء عشرة بالمائة يصلحون للتعليم العالي ... أما في أمريكا يستحيل قبولها" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 246،245)

والهدف في إنجلترا هو خلق طبقة أوليغاركية كما سمتها أرندت أي طبقة أرستقراطية، فبريطانيا تحافظ على هذا النوع من النظام حتى لو ادعت في واقعها الاشتراكية، على خلاف أمريكا التي تؤمن بالمساواة، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخلق هذه الطبقة. تضيف أرندت:" إن الهدف في بريطانيا هو طبقة من ذوي الكفاية ... ويصح وصفها بالأرستقراطية ... أما في أمريكا فإن تقسيم الأطفال تقسيما يكاد يكون ماديا إلى موهوبين وغير موهوبين، على هذا النحو، يعتبر أمرا لا يطاق. فإن وجود طبقة من أصحاب الكفاية ينافي مبدأ المساواة(أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 246)

نستنتج أن الفرق بين نظام التعليم في أمريكا - باعتبارها بلدا جديدا وبلد المهجر – وجب عليه بالضرورة تطبيق مبدأ المساواة وهذا ما جعل نظام التدريس فيها يتقهقر، أما في انجلترا ورغم النظام الصارم والذي يبدوا إقصائيا وانتقائيا إلا أنه نظام نابع من التقاليد الانجليزية العميقة والقديمة، فرغم التحديثات في النظام السياسي الانجليزي إلا أنه مازال يؤمن بتلك الطبقة الراقية و الارستقراطية.

7-ما وراء أزمة التربية في أمريكا - أبعاد الأزمة والحلول الممكنة-:

إن الهدف من طرح أرندت لأزمة التربية في أمريكا ليس الهدف منه أمريكا نفسها،فالأزمة تعني أمريكا نفسها كما تقول أرندت، لكن الهدف الحقيقي هو طرح أزمة التربية في المجتمعات الحديثة،وكذا أخذ العبر من هذه الأزمات،ومحاولة فهم العلاقة الحقيقية بين الطفل والمعلم وكذا فهم الرغبات الحقيقية للأطفال وتربيته وفق ما تقتضيه قواعد العقل السليم.

ومن هنا تأتي نظرة أرندت إلى التربية الصحيحة حسبها، فهي تبدأ عندما نفهم طبيعة الطفل كإنسان يختلف عن الحيوان، تقول أرندت في هذا الشأن:"ولذلك فالطفل، موضوع التربية، له عند المربي صفة مزدوجة، فهو جديد في دنيا غريبة عنه وهو في دور الصيرورة، هو إنسان جديد وهو إنسان صائر،وليست هذه الصفة المزدوجة بديهية،ولا تنطبق على أجناس الحيوان" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 251)

من هنا تأتي الصعوبة في تربية كائن بشري فهو يتطلب حقيقة حماية ورعاية، لكن في نفس الوقت نحن نعده لمواجهة الحياة، والحياة بطبعها لا ترحم. و لهذا وجب عدم دفع الطفل إلى عالم لا يرحم ، بل وجب تنشئته أولا في محيط امن ، ثم دفعه إلى العمل في إطار الحياة المشتركة تضيف حنة في هذا الخصوص:" إن كل شيء حي يخرج من الظلام ، و مهما يبلغ ميله الطبيعي إلى الاندفاع إلى النور ، فإنه على الرغم من ذلك يحتاج إلى أمن الظلام ، لكي يتمكن من النمو ، و لعل هذا هو السبب في أن أبناء المشاهير من الأدباء كثيرا ما يخفقون في حياتهم ، فالشهرة تخترق الجدران الأربعة و تغزو عزلتها مصطحبة بريق المجال العام ، الذي لا يرحم" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 252)

الحل الثاني الذي تقترحه أرندت هو جعل المدرسة وسيطا بين المجال الخاص والمجال العام لا أن نجعل من المدرسة هي العالم في حد ذاته،ومسؤولية المربين والآباء أيضا في نقل الطفل بالتدريج من الخصوصية إلى العمومية وكذا مرافقة التغير الحاصل وإلا تقترح أرندت أنه من لا يقدر من الآباء على تحمل هذه المسؤولية فيجب منعهم من الإنجاب.

أما الحل الثالث هو فصل التربية عن السياسة و عن الماضي لأن وظيفة المدرسة حسب أرندت هي: " تعليم الأطفال عن حقيقة العالم ، لا تدريسهم فن الحياة" (أرندت، بين الماضي و المستقبل، 2014، صفحة 262). فإعداد الطفل يكون هدفه الوصول به إلى فهم الكون

والوصول إلى أعلى المراتب الفكرية وليس فقط تعليمه مهارات وكفاءات حياتية معينة فهذا النوع من الأهداف تتكفل به معاهد التكوين المهني.

8- صعوبة التوفيق بين التنظير التربوي الموجه للفرد والاهتمام بالوجود الانساني الكلي:

إن نظرة أرندت إلى التربية نظرة عميقة، الهدف منها هي صنع إنسان يفهم عالمه وحاضره فمهما اجتهدت الأنظمة الحديثة في خلق مناهج تربوية حديثة إلا أنها تغفل دائما جانبا من الجوانب المهمة للتربية سواء التكوين الجيد للمعلمين، أو فهم نفسية الطفل، أو إدخال المفاهيم السياسية في التربية...الخ.

إن أزمة التربية من وجهة نظر الفيلسوفة هي بمثابة الانطلاقة نحو إعادة التفكير في شروط الوجود الإنساني: " الفلسفة اليوم ... لم يعد موضوعها طلب المعلوم الأسمى، بل العناية بالمرء صحة وتربية وحياة وسكنا في الكوكب ... ومن جديد عرض الفيلسوف خدماته وأسئلته على سكان المدينة، بحثا عن هوية ضائعة، وسط ركام من الأجوبة المعلبة وهكذا أطلق عنان التفلسف في طبقات الميدان والتقاليد والبدع" (خويلدي، 2013، صفحة 12)

لكن يبدو أن ما تحاول أرندت الوصول إليه هو ضرب من المثالية،وهي تبدو متناقضة في طرحها، فهي من جهة تنتقد الحداثة الغربية التي صنعت عقلا كليا،وفي نفس الوقت تدعو إلى إحياء الصورة الكلية للإنسان،وبدل أن تحاول تخليص الفرد من أزماته راحت تبحث عن الكلية،والفرد الذي سيصل إلى هذه الكلية هو في حد ذاته واقع في أزمة اغتراب.

فما يهم حسب – تيودور أدورنو- ليس البحث في الكلية وإنما البحث عن الفرد يقول أدورنو في كتابه " محاضرات في علم الاجتماع":" لا يمكن تصور المجتمع كما قد يخيل للبعض باعتباره جملة البشر الذين يعيشون في وقت معين وفي مرحلة معينة .... ففي أحسن الحالات لن يعود ذلك مفهوما وصفيا دون أن يعكس تماما ما سماه ماركس بالرابط الداخلي، الذي يجعل من المجتمع كلا ... علاقات بين عناصر وبالتحديد بين أفراد الناس العاملين،وليس مجرد تجميع هؤلاء الناس بالذات" (أدورنو، ب.س، صفحة 32)

فالفرد هو ضحية الحداثة الغربية وأزماتها المتعددة وليس الكل فالهدف هو تحرير الفرد وليس البحث عن الكلية المثالية.

9-خاتمة:

نستنتج في خاتمة مقالنا المتواضع هذا أن الفيلسوفة الألمانية "حنة أرندت" حاولت أن تشخص أزمة من بين الأزمات العديدة التي يعيشها الإنسان المعاصر ، ألا و هي أزمة التربية فأرجعت بعض أسبابها إلى عدم فهم العالم الخاص بالطفل، و كذا عدم التكوين الجيد للمعلمين و كذا إدخال النظريات البراغماتية الحديثة في المناهج البيداغوجية و خصت أمريكا كمثال عن الأزمة التربوية لأنها حسب ظنها تمثل البلاد الحديثة و المتعددة الأجناس و كذا الطابع

السياسي الذي يحاول فرض المساواة في كل شيء مما خلق نوعا من عدم الكفاءة على عكس بريطانيا التي يقوم نظامها التعليمي على اختيار الموهوبين منذ مرحلة التعليم الابتدائي.

والحقيقة أن هذا التشخيص للأزمة يأتي في سياق أزمة الإنسان عامة والتي خلفتها الحداثة الغربية، فبحث أرندت عن أسباب أزمة الإنسان المعاصر يعود كله بالدرجة الأولى إلى الأزمات السياسية التي عاشها العالم والعنف غير المبرر وتسلط الأنظمة الاستبدادية، مما نتج عنه تهميش الانسان واستبعاده من مجال الحياة العامة.

حاولت أرندت إيجاد نوع من الحلول لهذه الأزمة من خلال بلورة نظرة أنطولوجية جديدة سعت من خلالها إلى لم شتات الذات الإنسانية وخلق مجال مشترك يكون بمثابة شبكة من العلاقات الإنسانية، بدءا من اعتبار المدرسة كهمزة وصل بين الفرد والمجتمع، وصولا إلى دمج الفرد في العالم من خلال النقاشات والحوارات والأفعال.

ساهمت أرندت في تعرية ا أنظمة السياسية وكشف مدى تدخلها في المجال التربوي ومحاولة خلقها لنوع من المساواة المزعومة، في حين أن الإنسان كائن متميز عن غيره،وهذا التميز لا يظهر إلا من خلال إزاحة مفهوم الحشود والشعبوية واستبداله بمفهوم الكثرة الإنسانية المختلفة والمتمايزة والمشتركة في فضاء واحد ألا وهو الفضاء العمومي.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية

1.إثين، جلسون. (1974). روح الفلسفة الوسيطية في العصر الوسيط (ط2). (إمام عبد الفتاح إمام، المترجمون) القاهرة: دار الثقافة للطباعة و النشر.

2.إيلي إلفا، روني. (1920). موسوعة أعلام الفلاسفة العرب و الأجانب (ط1). لبنان: دار الكتب العلمية.

3.تيودور، أدورنو. (ب.س). محاضرات في علم الاجتماع. لبنان: معهد الإنماء القومي.

4.جميل صليبا. (ب.س). المعجم الفلسفي (المجلد 1). لبنان: دار الكتاب اللبناني.

5.حنة، أرندت. (2011). أزمة التربية - مقال مترجم -. (حماني أقفلي و عز الدين الخطابي، المترجمون) المغرب: مجلة الأزمنة الحديثة.

6.حنة، أرندت. (2014). بين الماضي و المستقبل (ط1). (عبد الرحمان بشناق، المترجمون) لبنان: جداول للنشر و الترجمة و التوزيع.

7.رابح، عمامرة تركي. (1989). أصول التربية و التعليم (ط2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

8.زهير، خويلدي. (2013). تشريح العقل الغربي - مقابسات فلسفية في النظر و العمل - (ط1). لبنان: دار الروافد الثقافية ناشرون.

9.زيادة، معن. (ب.س). الموسوعة الفلسفية. مصر: معهد الإنماء العربي.

عبد الله، العمر. (1983). ظاهرة العلم الحديث - دراسة تحليلية تاريخية -. الكويت: عالم المعرفة.

10علي عبود المحمداوي، و اسماعيل مهنانة (2012). مدرسة فرانكفورت النقدية التواصلية (ط 1). وهران، الجزائر: ابن النديم للنشر و التوزيع.

11.كمال، بومنير. (2011). النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى إكسل هونيث. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

12.محمد علي، أبو ريان. (1969). تاريخ الفكر الفلسفي.الفلسفة الحديثة (ط1). القاهرة: دار الكتب الجامغية.

13.نبيه، ياسين. (ب.س). أبعاد متطورة للفكر التربوي (المجلد 1). مصر: مكتبة الخانجي.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

14.Dorkheim, E. (1993). *education et sociologie.* paris: puf.

15.Robert, p. (1998). *petit robert dictionnaire alphabitique.* paris: PUF.